سيمينار الإثنين بالسيداج

مداخن في الأفق: نحو تاريخ بيئي لمصانع السكر الخديوية (1820-1876)

يقدمه عمرو خيري

١٩ مايو ٢٠٢٥- الحادية عشرة صباحا

٢٣ ش جمال الدين ابو الحاسن - جاردن سيتي

مصنع سكر سمالوط، المنيا، سنة 1871.

المصدر: دورية Architecture Beyond Europe، عدد 2014/5: https://journals.openedition.org/abe/2498

لصناعة السكر مكانة خاصة في تاريخ مصر الحديث، لكن أغلب الدراسات التاريخية لمصر في القرن التاسع عشر مرت عليها مرور الكرام. منذ أواسط القرن التاسع عشر امتلكت مصر وشغّلت بعض أحدث مصانع وماكينات تصنيع سكر القصب في العالم، بدءاً من عهد محمد علي باشا وحتى حفيده الخديوي إسماعيل. وفي عهد الأخير (1863-1879)، كانت في مصر مصانع قادرة على إنتاج 7.5% من إجمالي الإنتاج العالمي للسكر المصنّع من قصب السكر، ودارت في المصانع ماكينات صُممت وصُنعت خصيصاً لحجم إنتاج ضخم بلغ حد تكرير ألف طن من القصب يومياً بالمصنع الواحد على مدار شهرين إلى ثلاثة أشهر هي فترة "حملة السكر" الموسمية في وقت الحصاد. وكان لهذه المصانع العشرين (عدد تقريبي) نصيب كبير من الدَّيْن الذي تراكم على مصر وكان من آثاره إشهار الإفلاس في عام 1876.

ولقد أدى وجود المصانع (وقد امتدت إبان تلك العقود من بني سويف إلى أسوان) إلى تحديث البنية التحتية، بدءاً بحفر ترعة الإبراهيمية (أكبر مشروع حفر لقناة شهدته مصر في القرن التاسع عشر)، مرورًا بإنشاء قرى وعِزَب إنشاءً لاستضافة العُمال، وحتى بناء السكك الحديدية في مصر الوسطى لنقل القصب للمصانع. وكان من آثارها بداية تشكل "العمل الصناعي بأجر" بدلاً من العمل الزراعي أو العمل بالسُخرة، وكانت كأنها دوامة في بحر متلاطم من البشر والكائنات والجماد، تجذب إليها كل ذلك فتغيّر من ديناميات الوجود الإنساني والطبيعة معًا. إن مصانع السكر هي على الأرجح الموقع الذي ظهر فيه أول "خط إنتاج" معقد حديث في القارّة الأفريقية، مُبشِّرةً بذلك بالرأسمالية الصناعية وعهد الإنتاج الضخم.

بناء على أطروحته لنيل درجة الدكتوراه وأبحاث جارية حول عالم مصانع السكر الخديوية من زوايا تاريخ التكنولوجيا وتاريخ الطاقة وتاريخ تغيّر المناخ، يقدم عمرو خيري في هذا اللقاء طرحًا جديدًا يربط صناعة السكر الخديوية بالتاريخ العالمي لإنتاج السكر كسلعة نقدية في القرن التاسع عشر، وبحركة رؤوس الأموال والابتكار التكنولوجي في التصنيع والقوى المحركة (الطاقة) لآلات المصانع، وذلك نحو فهم الطبيعة الخاصة والاستثنائية للتحول نحو العمل الصناعي في مصر الوسطى والعليا في الربع الثالث من القرن التاسع عشر، وهي لحظة تسبق الحقبة التي حددتها أدبيات التاريخ العمالي المُعتبرة لتكوّن الطبقة العاملة المصرية المشتغلة بالصناعة في العقد الأخير من القرن التاسع عشر.

عمرو خيري

حصل على درجة الدكتوراه من جامعة لوند (دولة السويد) في نوفمبر 2023 بأطروحة قدّمها في التاريخ البيئي وتاريخ التكنولوجيا، في قسم الإيكولوجيا والجغرافيا البشرية التابع لكلية العلوم الاجتماعية بالجامعة، ولقد سعى من خلالها لإعادة النظر في الثورة الصناعية بصفتها ظاهرة كوكبية بدأت من إنجلترا وامتدت لتشمل ما يُعرف بمسمى "الجنوب العالمي". وهو حالياً باحث زمالة الدكتوراه في مركز الدراسات والوثائق الاقتصادية والقانونية والاجتماعية (سيداج) والمعهد الفرنسي للآثار الشرقية (إيفاو).

© مصنع سكر سمالوط، المنيا، سنة 1871. المصدر: دورية Architecture Beyond Europe، عدد 2014/5: https://journals.openedition.org/abe/2498